# الفصل السابع

## رسالة إلى معلمى الأطفال الصم

إن مشهد المعلم الذي يلقن تلاميذه الصم دون السماح لهم بمشاركة الحوار أو النقاش مشهد متخلف لمجتمع غير حضاري.

كما أن مشهد المعلم الممسك بعصاه أمام تلاميذه الصم في فصل دراسي مغلق أشبه بالجلاد أمام ضحاياه في غرفة التعذيب لذلك فإن أ- ب- النهوض بالتعليم داخل مدارس الصم هي الرقي بفكر المعلمين داخل هذه المؤسسات التربوية ولابد من التخلص من كل تخلف يعوق النهوض بثقافة وتعليم الأطفال الصم داخل العالم العربي ، إذ أن الطالب الأصم هو أحد المحاور الأساسية في العملية التعليمية وهو الهدف من هذه العملية برمتها كما أنه المستهدف الأساسي من عملية تطوير التعليم داخل مدارس الصم ، ولابد أولاً من الإيمان الراسخ بأهمية دور الدراما في تعليم الأطفال الصم. ولأن الطفل الأصم مغرم بالتقليد فإن استخدام الدراما يعد من أنجح الطرق التعليمية المستخدمة في تعليم الأطفال الصم.

ومن المؤسف حقاً أن العديد من المعلمين العاملين بمدارس الصم يعتقدون خطأ أن الدراما لا فائدة منها وينظرون لها على أنها مضيعة للوقت بل ويعتقدون أيضاً أنها تعوق متابعة التلاميذ الصم للمواد الدراسية ، وهذه النظرة لا يؤمن بها إلا كل من يعاني من الأمية الثقافية والتأخر الفكري.

كما أن هناك نوع آخر من المعلمين الذين يعتبرون بأن النشاط المسرحي نشاط غير أخلاقي ويسعون لتضييق الخناق على التلاميذ الصم لعدم ممارسة هذا النشاط ، ولا يؤمن بهذا الرأي غير المتعصبين الرافضين لتطوير تعليم الأصم والنهوض به ، ولأننا نقف الآن على أعتاب الألفية الثالثة ونحيا في القرن الواحد والعشرين الذي أطل علينا بثورة هائلة في التكنولوجيا والمعلوماتية والاتصالات وتطوير التعليم.

فمن الضروري التخلص من كل هذه المفاهيم الخاطئة التي لا تدعو لشيء سوى التخلف والتأخر. إن تطوير التعليم داخل مدارس الصم والاهتمام بتربية الأصم تربية صحيحة يعد استثمارا للمستقبل ، الأمر الذي يستوجب الاهتمام المتزايد بدراما الصم وممارسة الأطفال الصم للنشاط المسرحي داخل المؤسسات التعليمية باعتباره الجزء المكمل للتربية المتكاملة ، إذ أنه يعمل على بناء الشخصية السوية المتوازنة والتي تجمع بين الاستفادة من معطيات التقدم والتعامل مع آلياته بجانب الحفاظ على القيم الأصلية والتراث الحضاري العريق ومبادئ الخير والحضارة الإنسانية المتمثلة في القيم الدينية السليمة والخلق القويم والسلوك الرشيد.

ولا يوجد أدنى شك أن التدريب في دراما الصم يميل إلى تقديم الأطفال الصم الذين هم ذو شخصية حيوية غير عادية والذين هم يقظون ولديهم قوة ملاحظة ولديهم الكثير من الأفكار ويتمتعون بثقتهم بأنفسهم ورهافة مشاعرهم.

إن الدراما هي أحد الفنون التي عن طريق ممارستها ينمو الأطفال الصم وينضجون كآدميين وعن طريق الجانب الإبداعي للعمل الدرامي يستطيع الأطفال الصم أن ينجبوا مما هو قديم شيئاً مبتكراً جديداً وعن طريق جانبها

الشارح في استطاعتهم تنمية تفهم متعاطف مع عالم الأسوياء ، وذلك عن طريق الاتصال بالعروض الفنية الجيدة والصالحة وكلا الجانبين يتطلب مشاركة الإنسان كاملاً سواء الجسم أو العقل أو الأحاسيس أو الروح وفي الواقع أن كلا الجانبين شيء واحد وكلاهما حيوياً في نمو الأطفال الصم.

وإنني أؤكد على أن هدف دراما الصم ليس تدريب ممثلين أو راقصين وفي الواقع أن عدداً قليلاً جداً من الأطفال الصم قد يصبحون ممثلين أو راقصين ولكن غالبيتهم عن طريق ممارسة الدراما سيمتلئون بثراء كبير وسيجدون الحياة أكثر وفرة وغزارة.

**والسؤال هو كيف تؤثر ممارسة الفنون بوجه عام ودراما الصم بوجه خاص في نمو الأطفال الصم ؟**

أن عملية الابتكار هي أن نخرج شيئاً جديداً مما هو قديم والإبداع هو أن نجعل العادي مدهشاً والمستحيل ممكناً ، والتصميم هو الابتكار من جانب الفنان أما الصناعة فهي من عمل الحرفي البارع. إن الفنان يجب أن يكون حرفياً بارعاً ، أما الحرفي مهما كانت براعته فليس من الضروري أن يكون فناناً مبدعاً ، إن الفنان لديه شيء شخصي يريد أن يقوله أما الحرفي مهما كانت براعته فليس لديه إلا القليل أو لا شيء يقوله.

إن لحظة الإبداع تأتي بسبب الانصهار المفاجئ لعاملين أو أكثر لكي ينتج شيئاً جديداً وأن العناصر المذكرة والمؤنثة تمتزج معاً لخلق إنسان جديد وفريد في نوعه وأن العمل الفني مع الأطفال الصم يجب أن يكون فريداً في نوعه ، والأطفال الصم على مستواهم الخاص في قدرتهم خلق شيء جديد مما هو قديم ولكنهم في حاجة إلى العين التي ترى وإلى المرشد الذي يأخذ بأيديهم ويهديهم

للطريق ، ومن المهم أن ننمي في الأطفال الصم تكوين أنماط من الآراء مكونة شعورياً وفي نمو مستمر وتتكون من أفكار وأحاسيس وإثارات وصور وهذه الأنماط ستكون المادة الخام لفكرهم الحر الابتكاري وأعمالهم الإبداعية ، والنمو المنتظم لمفاهيمهم سيأتي تدريجياً عن طريق التجارب التي يشاركون فيها.

إن المعرفة المتخصصة وإن كانت فعلاً مرغوبة ليست أساسية لتحقيق أثر واضح في مجال الدراما وإذا توافر الاهتمام بالدراما فإن معرفة الآراء المعاصرة عن تدريس الدراما والصفات التي يتميز بها المعلم المتغير ستؤدي حتماً إلى نتائج ممتازة. إن المعرفة الإنسانية لا تأتي من الأدب أو الجغرافيا أو التاريخ فحسب. بل تتحقق كذلك من الفنون بإبداعاتها المختلفة والمتباينة والتي هي أرقى فروع المعرفة الإنسانية ومع هذا فلا يجب أن نجزئ أو نفتت هذه المعرفة الإنسانية بل علينا أن نراها في كلها المتكامل المتنوع وليست هناك معرفة أحادية الجانب أو مضادة لنوع آخر من أنواع المعارف الأخرى.

إن كل معرفة تكمل عناصر المعارف الإنسانية الأخرى وهي جميعها تستهدف رقي الإنسان وسعادته وأكبر دليل على ذلك التفوق الحضاري للفراعنة الذين كانوا يهتمون بكل ألوان المعرفة من العلوم والآداب والفنون. وفي رأيي الشخصي أن تفوق الفراعنة وتلك الحضارة العظيمة التي خلفوها خلفهم إنما هي نتائج الإبداع المنبعث من فنانين ، فكل مظاهر الحياة الفرعونية القديمة كانت تدل على الفن والإبداع فالنحت والرسم والرقص والتجميل والتحنيط وصناعة العطور وإنطاق الجماد. كل هذه مرادفات للجمال بل هي الفن والإبداع الحقيقي.